الفصل التاسع

التربية والتنوع الثقافى فى مجتمع المعرفة

- تمهيد.
- الثقافة.. مفهومها ومقوماتها وخصائصها ودعائمها.
- التقدم الثقافى للإنسان.. لماذا؟
- عقلنة الثقافة.. الخطوة الأولى فى طريق التنوع الثقافى.
- تأثير الثقافات الوافدة على الحضارة الأم.
- دور التربية فى مقابلة الثقافات الوافدة فى مجتمع المعرفة.

تمهيد:

لقد فرضت الحركة السريعة لهذا الزمان أن ينفض الإنسان غبار الكسل عن كاهله، وأن يعمل بجد واجتهاد ليستطيع أن يجد فرصة حقيقية فى الحياة، أو أن يتبوأ مركزًا وظيفيًا معقولا ومرموقا فى ظل مؤهلاته الدراسية أو طموحاته الشخصية، وذلك فى ظل الأعداد الغفيرة من الناس (العامة وأنصاف المتعلمين والمتعلمين على السواء)، وفى ظل الفرص القليلة والمحدودة من الوظائف.

أيضًا، لأن متطلبات الحياة باتت الآن صعبة وشاقة وحادة، ينبغى على الإنسان بذل جهود مضاعفة وكثيفة لمواجهة تلك المتطلبات الضرورية والأساسية، وذلك عن طريق العمل الشاق والمضنى لمدة ساعات طويلة من النهار، لدرجة أن بعض الناس قد يواصلون النهار بالليل لأنهم يعملون فى أكثر من وظيفة أو حرفة أو مهنة.

وللأسف، كان ذلك على حساب الوقت الذى يجب أن يخصصه الإنسان من أجل ترفيه نفسه وتثقيف ذاته. لقد أصبح الإنسان مجرد ترس يدور فى الآلة، أو يعمل وفق منظومةمن الآليات المجردة التى لا تدرك قيمة وأهمية مشاعر الذين ينتمون إليها، ولا تحس أو تفهم المعنى الحقيقى لتقدير متاعبهم الحياتية والمعيشية، ولا تقدر جدوى عظمة الوجود الإنسانى للإنسان.

وعليه، فإننا لانغالى القول إذا قلنا أن الشغل الشاغل بالنسبة لغالبية غير المتعلمين الآن يتمثل فى التفكير فى إيجاد لقمة العيش. وبالنسبة للإنسان المتعلم ينحصر تفكيره حاليا فى رفع مستوى معيشته فقط، بهدف الحصول على مسكن كبير مؤثث بأثاث فاخر، وبهدف الحصول على سيارة فارهة.

والسؤال :

ما موقع الثقافة الآن فى حياة الإنسان؟

فى ظل إيقاع العصر السريع، باتت حركة الإنسان فى عجلة متزايدة، ولكنها موجهة فقط ناحية الأمور المادية. لقد أصبح الإنسان لايقرأ، ولا يكتب، لأنه لا يجد الوقت الكافى لذلك. وفى أحسن الأحوال، إذا استطاع الإنسان، أن يستقطع جزءا من وقته، فإنه يخلد للراحة الجسمانية فيه من عناء العمل عن طريق النوم، أو سماع الإذاعة ورؤية التلفاز. لذا، أصبحت العديد من تصرفات الإنسان بالنسبة للأمور المعنوية التى تخصه كإنسان، يعوزها التخطيط السليم والتفكير الصحيح.

تأسيسا على ما تقدم، نقول أن الثقافة بمعناها الحقيقى قد انتفت بدرجة كبيرة من حياة الإنسان، وخلت الساحة من فرسانها المثقفين الحقيقيين من رواد الفكر وصناع الحياة الإنسانية. والغريب والمدهش فى الوقت نفسه أن نسبة من الناس باتت من مدعى الثقافة لأنهم يحفظون كلمات قليلة من لغة أجنبية، أو لأنهم يقرأون الجرائد اليومية.

أيضا، الشيء الغريب فى هذا الموضوع، أن نسبة من الناس قد تنظر للآخرين من علٍ، وكأنهم يسكنون بروجا عاجية لأنهم قرأوا بعض الكتب. ولا يقتصر الأمر على النظرة المتعالية والمتكبرة لهؤلاء الناس، وإنما الأمر يمتد إلى أبعد من ذلك بكثير، لأنهم يتهمون الآخرين بالجهل والتخلف الثقافى، على الرغم من أن غالبيتهم لايعرفون المعنى الحقيقى للثقافة ومقوماتها وخصائصها ودعائمها، ولا يدركون مدى تأثيراتها القوية والعديدة فى حياة الإنسان على أساس أنها السبيل الوحيد لتقدمه، ولا يفهمون دورها الرائع فى صنع حضارات الشعوب.

لذا، يلقى الحديث التالى الضوء على المقصود بالثقافة، ومقوماتها وخصائصها ودعائمها.

أولا : الثقافة.. مفهومها ومقوماتها وخصائصها ودعائمها:

(١) مفهوم الثقافة :

إن الثقافة كلمة مستحدثة مستولدة من فعل "ثقف" (السيف) أى "صقله"، وبالتالى فالثقافة إذن هى "صقل" النفس، وهى فكرة جميلة ولكن يعيبها أنها كانت لغة قوم محاربين يهتمون كثيراً بأن تكون سيوفهم صقيلة سواء عند القتال أم عند الزينة.

وبالطبع، لا ينظر المثقفون أبدا لأنفسهم على أنهم أسلحة قتال، لذا لم يرتاحوا مطلقا لهذا التفسير، وكانوا يقفون أمامه حائرين.

وفى المقابل، وقف الأوربيون حائرون أمام المرادف الأوروبى الذى ترجمت عنه كلمة "ثقافة"، وهو لفظ Culture، وهو لفظ مشتق من لغة الزراعة، وهو يوحى بأن الإنسان كالنبات: منه ما هو مزروع بيد الإنسان وخبرته، ومنه ما ينبت فى الطبيعة على الفطرة، كالغابات والأعشاب الشيطانية، وهى فى العادة تكون مهوشة وربما قاتلة لنافع النبات وللعمران، وهذا الفهم للثقافة يوحى بأنها بنت المدنية أو المجتمع المدنى وأنها نتيجة للتعلم، وقد لاحظ بعض الأوروبيين أن الإنسان قد يكون متعلما، بل واسع العلم، ومع ذلك يكون منحطا فى مداركه وسلوكه، ومن هنا كانت حيرتهم أمام كلمة الثقافة.

ثم أن علماء الأنثروبولوجي ملأوا الدنيا كلاما عن الثقافات البدائية عن أقوام كانت تعيش على الفطرة، مثل: قبائل البوشمان والهوتنتوت والإسكيمو، وعلماء الاجتماع ملأوا الدنيا كلاماً عن الثقافات الشعبية والثقافات الإقليمية، مما زاد حيرة الحائرين، وجعل العديد من المفكرين يبحثون عن مفهوم أوسع للثقافة[١].

وبعامة، يوجد تعريفان للثقافة: التعريف **العلمى الاجتماعى** الذى نجده فى دراسات علماء الأنثروبولوجية الاجتماعية. وهو مجرد تعريف وصفى للثقافة لا مكان فيه للأحكام أو التقييم، ثم هناك التعريف **الإنسانى** وهو التعريف الشائع القائم على تصور الثقافة

مرادفة للمعرفة الواسعة للفنون الراقية والآداب الراقية والفكر الراقى والذوق الراقى، وهذا التعريف ليس وصفيًا بحتًا ولكنه قائم على نظرة معيارية لكل هذه الأشياء، وهو يتضمن معنى اختيار الأفضل والتصفية من الأوشاب.

وبالرغم من أن التعريف (الإنسانى) للثقافة شائعًا وصحيحًا بدرجة كبيرة، فإن "مشكلته أنه قائم على درجة ملحوظة من الطبقية، لأنه غالبًا ما يقرن الجهل والسذاجة والفجاجة والغلظة والسوقية والتعصب. .إلخ، بالشعبية الجماهيرية واقتراب الإنسان من حياة الفطرة قبل أن تصقله المعرفة والمدنية، وتخلصه حياة الرخاء من ضرورات العوز التى تشكل الجزء الأكبر من رذائل الفقراء[٢].

أيضًا، قد يقصد بالثقافة "ذلك الكل المركب أو النسق الكبير الموحد والمتجانس، الذي يضم تحته الأنساق الفرعية للحياة الاجتماعية فى شتى جوانبها: الأخلاقية والدينية والفكرية والفنية والعائلية وغيرها، وينتج عن الثقافة سيادة أسلوب متميز للحياة، وتوجه مشترك فى الفهم والسلوك، ونماذج وأنماط ومعايير وقيم، بحيث توجد، فى النهاية عند الجماعة التى تتكون بينها تلك الثقافة المعنية، وحدة متجانسة من الشعور والتفكير والسلوك، وتكون الثقافة فى نفس الوقت نتاجًا للجماعة وتعبيرًا عنها ثم موجهًا لها معًا ليمكن تسميتها بروح الجماعة من جانب ما، أو هى تظهر الجانب المعنوى من حياة تلك الجماعة، الذى يظهر فى النهاية ظهورًا موضوعيًا فى منتجات هى نظم وتصورات وإنتاج لغوى وفنى وطرائق للسلوك ومنتجات ذهنية من كل نوع" [٣].

أخيرًا، يمكن النظر إلى الثقافة على أنها: الروح التى تسرى لتدفع ذلك البناء المعرفى المتمثل فى المعلومات والعلوم، نحو غايات وأهداف بعينها يريد الإنسان تحقيقها، وبالطبع لا تسرى تلك الروح التى هى الثقافة على أساس أنها آتية من عدم، بل أن لها مصادر تنبع منها، أهمها: الدين والفن والأدب، وبمقدار ما يملأ الإنسان وعاءه من شتى جوانب تلك المصادر، ويهضمها، ويسيطر عليها، ويستدعيها فى أى وقت، وأينما يشاء، تكون غزارة ثقافته وقوة دفعها[٤].

(٢) مقومات الثقافة وخصائصها:

يشير أحد التعريفات الفرنسية لكلمة ثقافة، بأنها "ما بقى فى النفس بعد أن ننسى ما قرأناه". ويميز هذا التعريف الثقافة عن التعليم الرسمى، وعلى الرغم من ذلك، فإنه ليس كاف لأنه وصف سلبى لتفاعلات كيميائية إيجابية داخل النفس البشرية. فالثقافة لا تكون ثقافة إلا إذا قامت على مبدأين: تكامل المعرفة وتحول المعرفة إلي قيم، وهذا يترك الباب مفتوحًا لنتكلم عن ثقافة راقية وثقافة متخلفة.

ويبرز **التعريف السابق**: أن الثقافة تخص الإنسان أولا وأخيرا، لأنه صانعها ومبدعها،

وهو القادر على حمايتها من الجنوح والانحراف وعلى حفظها من الطمس والذبول والتشويه، وهو الذى ينقيها من الشوائب والحشو والدنس وأمراض الشيخوخة.

وعلى الرغم من أن الثقافة من صنع الإنسان نفسه، فإنه أيضًا ثمرة من ثمراتها، إذ تترك عليه بصماتها القوية فى أعماق شخصيته، وتؤثر على طريقة تفكيره وتعاملاته مع نفسه ومع الآخرين، وتحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية بينه وبين الآخرين، وتضع له الأساس الفكرى لسلوكه.

ويمكن النظر إلى الثقافة كإحدى وسائل الضبط الاجتماعى لترشيد سلوك الإنسان. كما يمكن النظر إليها أيضًا كفلسفة وأسلوب حياة للإنسان، أو كنمط من أنماط أساليب معيشته بما تتضمنه وتحتويه من مؤثرات تعليمية.

ويكمن جوهر الثقافة فى الأمور الفكرية والفلسفية والمعنوية، وتتضمن المعرفة، والمعارف، والحقائق، والعقائد، والفنون والآداب، والقيم: الأخلاقية والجمالية، والقانون، والعادات والتقاليد، كما تشمل كل المخترعات والمبتكرات والمنجزات.

وعندما تعبر الثقافة عن نفسها وتتجسد فى شكل سلوك الإنسان وتصرفاته، فإنها تكون من مقومات تكيف الفرد مع نفسه ومع الآخرين، فيشعر بالرضا والسعادة، والقدرة على تنفيذ المهام والمسئوليات المطلوبة منه وتحقيق النجاح فيها. أيضًا، عندما تعمل الثقافة على إشباع حاجات الإنسان المادية والمعنوية، وتسهم فى حل مشكلاته، فإنها بذلك تضع أصول وقواعد تكيفه مع البيئة المادية والاجتماعية المحيطة به أو المفروضة عليه.

وحيث أن الثقافة كل مركب واحد، أو هى نسق أو نظام كبير، ناتج عن النشاط الإنسانى لدى جماعة بعينها، فإنها "أقرب ما تكون إلى الكيان ذى صفات الظاهرة الحية، بمعنى: تولد الثقافة وتنمو وتتغير وتستجيب للمثيرات، وتنجح فى ذلك أو تفشل، ولابد لها في وقت ما للوصول إلى الشيخوخة والعجز والتحلل والموت والاندثار لتصبح تاريخًا، مجرد تاريخ".

ومن منطلق أن المشكلات والتحديات تجابه الثقافة وتقابلها باستمرار، يظهر دور الفكر الحيوى فى إنجاح استجابات الثقافة لما يقابلها من مواقف.

ويمكن النظر إلى الثقافة فى بيئة محددة على أنها "تسلك أو تتحرك فى (مجال) مكانى معين و(مجال) زمانى معين هو الآخر، وحسب (منطق)، خاص ينتج عنه التركيبة المتميزة الفريدة لترابط عناصر الثقافة فيما بينها، وما ينتج عن ذلك من علاقات واتجاهات خاصة، بل أننا نستطيع أن نتحدث عن مجال (معنوى) بالمعنى العام، وعن مجال (أخلاقى) ينتج عن تحديد الثقافة لما هو خير وشر وواجب وحلال وحرام وغير ذلك، وعن مجال (عاطفى) أو (انفعالى)"(٥).

والسؤال :

إذا كانت الثقافة تخص الإنسان أولا وأخيراً كما ذكرنا ذلك من قبل، فكيف يمكن للإنسان أن يكتسب جوانب الثقافة المختلفة؟

بادىء ذى بدء يمكننا ان نميز بين ثلاثة مستويات متصاعدة للثقافة. وفي المستوى الأول، يتحتم على كل إنسان أيا كان مستواه الفكرى أو العلمى أو الاجتماعى، ممارسة حياته من خلال نطاق شمولى، يتضمن سلوكيات: الأكل، والقيم والعادات السائدة، والزى القومى، . .إلخ. ولا يتاح الصعود إلى المستوى الثانى إلا لبعض الناس دون بعض، لأنه يخص المهن التى يشغلها ذوو الدرجات العلمية، مثل: الطب والهندسة والمحاسبة. . إلخ، ويشغل الصفوة من الناس المستوى الثالث، وذلك مثل: العلماء ورجال الفكر والأدب والفن، لأن هذا المستوى يتضمن الأمور النادرة جداً، أو الشاذة فى حدوثها، أو الصعبة فى ممارستها.

من المنطلق السابق، نقول أن الإنسان يكتسب جوانب الثقافة المختلفة وفق معايير ترتبط بمستوى تعليمه، وذكاءه، وطموحه، وذاتيته، وكينونته، ومستواه الاجتماعى الاقتصادى.

وعليه؛ إذا انتفت جميع المعايير المرتبطة بالأمور السابقة، يقبع الإنسان فى المستوى الأول فقط دون أن يصل للمستويين التاليين. أما إذا تحققت الأمور السابقة بدرجة معقولة، فيمكن للإنسان بسهولة أن يكون له مكانا فى المستوى الثانى. أما إذا سيطر الإنسان تماماً على الأمور السابقة، وساعدته الظروف المحيطة به، فيكون مكانه الطبيعى المستوى الثالث.

(٣) دعائم الثقافة :

ترتبط الذاتية الثقافية لأى شعب بثلاثة عوامل رئيسة، وهى:

العامل التاريخى : وهو الحصن الحصين الذى يمكن لشعب أن يقيمه فى وجه كل صور العدوان الخارجى، سواء أكان ثقافيا أم غير ثقافى.

العامل اللغوى : وهو القسم المشترك الوحيد والسمة المثلى للذاتية الثقافية، لذا يقول (مونتسكيو): "مادام الشعب المهزوم لم يفقد لغته فإن فى وسعه أن لا يفقد الأمل".

العامل النفسى : ويتطلب توافر قدر من ثبات البنى حتى فى إطار التنوع ذاته. وينبغى لكى نسبر أغواره أن ندرس أولا ما يمكن أن نطلق عليه الثوابت الثقافية.

تأسيساً على ما تقدم، تكون البيئة الثقافية بمثابة بنية قادرة على أن تهضم وتتمثل مواد أجنبية، وعلى أن تتطور، بينما تظل واعية بذاتيتها، وهذا التمثل يثيرها دون أن يؤثر فى مصيرها(٦).

وبتعبير آخر، ليس هناك تعارض بين تنمية الذاتية الثقافية، وبين التفتح على الثقافات الأخرى، بشرط أن تكون الثقافة المعنية قوية كي تتعامل مع الثقافات الأخرى من موقف الند القادر على التأثير إذا كانت وجهته صحيحة، والقادر أيضاً على التأثر وتعديل المسار إذا كانت هناك تجاوزات أو أمور غير مرغوبة فيها بسبب فسادها أو عدم مناسبتها للعصر. إن عدم الانفتاح على الثقافات الأخرى دعوة إلي قوقعة الذاتية الثقافية، قد تصل إلى حد الموت. إن تأكيد الذاتية الثقافية ليس دعوة إلى الانسلاخ الاجتماعى وإلى الاغتراب الفكرى عن الثقافة الإنسانية الأم، وإنما هو دعوة إلى الموازنة بين الهوية القومية والهوية الإنسانية. حقيقة، إن العمل الفكرى والثقافى، لا يحمل جنسية سياسية، وإنما يحمل جنسية إنسانية، حضارية.

وجدير بالذكر أنه ليتوافق الإنسان مع نفسه ومع الجماعة التى ينتمى إليها ومع البيئة التى يعيش فيها، فعليه أن يسعى جاهدا -وباستغلال أقصى إمكاناته الذهنية- ليمتص ثقافة المجتمع بما تحتويه من القيم والمثل العليا والمعايير والقواعد والنظم والقوانين والعادات والتقاليد والأعراف والتشريعات. عندما يتحقق ذلك، يكون الإنسان سويا، فيستطيع اكتساب أنماط السلوك الطبيعى الذى يترسب فى ذاته ويتدخل فى أعماقه ويصبح جزءً من كيانه الشخصى لا ينفصل عنه.

إذًا، لا نغالى إذا قلنا أن الثقافة بمثابة مصباح التنوير الأساسى للإنسان، إذ بالثقافة يكتمل العقل الذى يبنى ويشيد، فيستطيع الإنسان أن يضاعف الإنتاج ويحقق التنمية ويصنع الأمن والأمان على المستويين الشخصى والعام.

ثانياً : التقدم الثقافى للإنسان... لماذا؟

للإجابة عن السؤال نقول:

تتمثل وظائف المخ البشرى فى الآتى:

* ينظم وظائف البدن ويعمل على حفظ بقاء الكائن الحى من الناحية البيولوجية عن طريق السعى الدؤوب والصراع المستمر فى سبيل تحقيق الأمان والطعام والتكاثر.

* يتميز بوظائف أعقد وأوسع وأعمق تمتد إلى استنباط الحقائق الخافية أو المستترة، وإلى محاولة ابتكار الحديث الذى يتواصل مع الآخرين بلغة مفهومة ومنطوقة، كما أنه يتأثر بثقافة الآخرين لينتج ثقافة جديدة تتضمن شتى ألوان المعرفة والآداب والفنون(٧).

تأسيسا على ما تقدم، وبناء على نتائج الدراسات الحديثة فى مجال وظائف المخ يمكن للإنسان إدراك أبعاد ثقافة المجتمع وتحليلها إلى مكوناتها ثم امتصاصها وترسيبها فى أعماقه، كلما كانت المنبهات من حوله متنوعة ومثيرة، ويتحقق ذلك بتنبيه مجموعات الخلايا العصبية المختلفة عند الإنسان بواسطة عناصر البيئة المحيطة به، مع توافر الظروف

المناسبة لتتراكم الخبرات عنده، وليكون لديه القدرة على حفظها واستدعائها، فيؤدى ذلك بالتبعية إلى تنوع فى نشاطات وأداءات مجموعات الخلايا العصبية للإنسان، وازدياد تعقيداتها الوظيفية.

بمعنى: يتوقف التقدم الثقافى للإنسان واكتمال نضوجه الفكرى على مدى زيادة مجموعات الخلايا العصبية العاملة عنده، وكفاءتها فى التعامل مع الواقع المحيط به، إذ أن ذلك يجعل الإنسان قادراً على استيعاب إنجازات الآخرين، فيرفض منها ما لا يتوافق مع ظروفه أو ميوله أو توجهاته أو استعداداته الذهنية والمعنوية، أو يضيف ما يقبله من تلك الإنجازات إلى حصيلة نشاطاته وخبراته.

وعلى الرغم من أن التكامل بين الثقافات فى الزمن الواحد أمر وارد ويمكن حدوثه، ولا نغالى القول إذا نعتناه بالحقيقة الوحيدة القابلة للتصديق، أو وصفناه بالمقدمة الطبيعية لما نتوقعه من نضوج فكرى مستقبلى للإنسان على أساس أنه السبيل الوحيد لتقدم الإنسان الثقافى، فإن ذلك التكامل -غالبا- لا يتحقق بالدرجة المأمولة، فمن المسئول عن ذلك؟ ولماذا؟

الحقيقة أن المسئول الأوحد عن صراع الحضارات الذى يحول دون تكامل الثقافات هو الإنسان، فالتصارع الذى يمارسه الإنسان منذ قديم الزمان حتى يومنا هذا، إنما يعكس نشاط الطبيعة البيولوجية لديه، والتى قد تسيطر على فكره بدرجة كبيرة، وقد تدفعه أحيانا إلى توظيف قدراته العقلية وإمكاناته المادية لاستبعاد الآخرين أو السيطرة والهيمنة عليهم، بحجة المحافظة على وجوده الذاتى.

والسؤال :

ما العمل لتحقيق التقدم الثقافى المنشود للإنسان؟

إذا فشل الإنسان فى تحقيق التوأمة بين ثقافته وثقافة الآخرين، فذلك يعنى قطع خطوط الاتصال بينه وبين الآخرين، وعدم قدرته على الالتقاء فى أية نقطة، على طريق التفاهم مع غيره من الناس. ولا يمكن تفسير ذلك إلا بالفقر الفكرى للإنسان، وعجزه عن استنباط الحقائق والدلائل التى تعكسها الأحداث التى تجرى من حوله، فيبدو وكأنه يعيش فى عصور البدائية أو الغوغائية التى تفرض عليه صراعات وصدامات، ناهيك عن طبيعته البيولوجية التى يسهل إثارتها بحجج وأعذار واهية فتدفعه إلى التصارع والتناحر مع الآخرين.

وحتى يستطيع الإنسان أن يواجه عجزه الفكرى، وينتصر على طبيعته البيولوجية الضعيفة، ينبغى أن يسعى لترويض الرغبات المجنونة بداخله، التى قد تدفعه للتهور والحماقة، وذلك عن طريق التمسك بالقيم المعنوية والدينية، وينبغى ألا يقتصر الأمر على

ذلك فقط، لأنه بالرغم من أن اكتساب تلك القيم ليس بالأمر السهل، ويكون عملية صعبة وشاقة، وتتطلب إلتزامًا خلقيًا رفيع المستوى، فإنها ليست كافية لتلاحم الثقافات وتداخلها بما يحقق بقاء الإنسان راضيا وسعيداً، متفاعلا مع الآخرين ومقدراً لظروفهم، ساعيًا لنشر الخير ومقاومًا للشر. لذا، بجانب اكتساب الإنسان للقيم المعنوية والدينية، يجب أن يعمل جاهداً لزيادة معارفه وليطور قدراته التقنية، وليرفع مستواه الاقتصادى، وبذا يكون قويا عادلا.

والسؤال :

ما تأثير الثقافة الوافدة على تحقيق التقدم التقانى المأمول للإنسان؟

للإجابة على السؤال السابق نقول :

تشكل الثقافة وجدان الأمة، كما ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالأمن القومى. أيضًا، لا تتجزأ الثقافة بأى حال من الأحوال عن الحياة : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية للمجتمع.

ولا تستطيع الثقافة الوافدة أن تؤثر على الثقافة القومية، بحيث تخترق عقل ووجدان الإنسان، وبحيث تجعل هويته الثقافة باهتة الملامح أو لا وجود لها البتة، ما لم تفشل الثقافة القومية فى التصدى لهذا الغزو الثقافى الوافد. وإن كان هناك رأى يرفض تماما فكرة الغزو الثقافى، لأن الغزو عملية حربية، وبالتالى لا يمكن حدوث غزو ثقافى بقوة السلاح. ويستطرد صاحب الرأى السابق، فيقول : "أن كل الثقافات وافدة وكل ثقافتنا مصدرة، لا يوجد شيء يسمى وطنية فى الثقافة، هناك ثقافة عامة، والثقافة ملك للجميع"(٨).

إذا، مقاومة الفيروسات الثقافية المدمرة القادمة من خارج الوطن مرهونة بقدرة مقاومة الثقافة القومية للأفكار الهدامة التى تحملها الثقافة الوافدة وتسعى لنشرها. وحتى تتحقق هذه المقاومة، ينبغى أن يقبل الناس بوعى علمى على القراءة بنهم وشوق لتتكون لديهم مناعة تكسبهم القدرة على التحليل والنقد، لقبول الأفكار الصحيحة الجيدة، ولرفض الأفكار الخارجية الخاطئة. ويتطلب ذلك أن تسهم الدولة فى تخفيض سعر الكتاب لجعله آلية من آليات المحافظة على حياة الإنسان شأنه فى ذلك شأن رغيف العيش.

أيضًا، لمقاومة الثقافات الوافدة وتأثيراتها المسمومة على الثقافة الأم، ينبغى أن تقوم البرامج الثقافية التابعة للمؤسسات الإعلامية بدور مؤثر لتفنيد أية ادعاءات مغرضة تحاول أن تنال من الهوية الثقافية القومية.

كذلك يمكن أن يؤدى المجلس الأعلى للثقافة، وعلى رأسها لجنة الثقافة العلمية، بجهود مضنية لإكساب مقاومة، تحمي الشباب من مغبة السقوط فى هاوية الرذائل، ومن رفض فكرة المناداة بالتحلل الأخلاقى، حسب رؤية يتزعمها حاليا فئة قليلة من الكتاب

الذين ينادون فى جرأة غريبة بمزيد من التحرر والانطلاق فى أنانية فردية تتجرد من المسئولية الجماعية.

ثالثاً: عقلنة الثقافة.. الخطوة الأولى فى طريق التنوع الثقافى:

يمكن النظر إلى الثقافة على أنها: مفهوم متحكم فى مسيرة الفكر، ومتصور فاعل فى ترتيب آليات النشاط الإنسانى، ومؤسسة تستقطب مرجعيات التوجيه الإجرائى وتتدخل فى رسم مسالك الإبداع الفنى.

ولكن إذا اعتبرنا أن المعرفة فى نهاية مطافها ليست إلا منظومة من القرائن الاستدلالية، فإننا سنظفر بكل الصلاحيات الذهنية التى تخول لنا إجراء مقاربة دقيقة بين مفهوم الثقافة ومفهوم المعرفة كما لو أنهما كفتان على ميزان واحد تتعادلان أو تتراجحان.

وعلى الرغم من أن المثقفين قد طافوا بكل أركان البيت الفكرى المشترك، وأنجزوا أشواط طوافها: فى القضايا التربوية، وفى المشكلات الثقافية، وفى الهاجس العلمى، وفى معضلات العصر وأمهات قضاياه، وأخيرا فى تحديات الثورة التقنية المتجددة، فإنهم لم يوجهوا جل اهتمامهم لحل لغز المعادلة البسيطة فى عناصرها والخطيرة فى مراميها، الا وهى: أن الثقافة مفهوم، وأن مفهوم الثقافة هو بذاته مفهوم المعرفة.

ولكن لا يعنى ما تقدم أن الطريق قد أغلق أمام الاجتهاد أو السعى المتواصل أمام التفسير الموضوعى والوصول إلى الحلول المنطقية الاستقرائية؛ لأن مضمون الثقافة قابل للانخراط فى آلية العقل، أى قابل للعقلنة، وذلك يمثل سر قوة الثقافة من حيث أنها عمل مشترك كفيل بإنطاق المؤتلف بعد إسكات المختلف.

إذًا، لا مجال للإقناع بأن الخطة هى إستراتيجية، وبأن التخطيط هو دعامة العمل الإستراتيجي "ما لم نثبت بأن الثقافة هى بذاتها موضوع المعرفة، ومن حيث هى موضوع للمعرفة فإنها تصبح علمًا، وعلم الثقافة هو -كسائر العلوم- يتحلى بشمائل السلطة المعرفية، وللعلم سطوة هى التى تتكفل بالإفحام عندما يتسلل نشاز الجدل" .

ولإثبات الحقيقة العلمية للثقافة، ينبغى تكاتف الجهود والعمل المشترك بين رجال المعرفة المحسوبين كرواد أو كوادر فكرية، وبين أهل الحل والعقد من المثقفين المعدودين بين حملة الأقلام وسدنة الرأى وحفظة الحرف والكلمة.

وانطلاقا من المسلمات السائدة فى عصرنا الراهن، اعتبرنا أن المعرفة قيمة مطلقة، لذا لا يجادل أحد منا "فى أن المعرفة ليست لها جنسية، وأنها تبعا لذلك لا تتطلب جواز أسفار بين المجموعات البشرية ولا تنادى بتأشيرة عبور بين الكائنات الحضارية. واستطرد بنا الظن ثم انجررنا إلى التسليم بأن المعرفة ليس لها هوية" .

حقيقة أن المعرفة مفهوم مطلق لا تقيده الانتماءات ولا توجهه الولاءات، ولكن قيمة المعرفة الحقيقية بحاملها، "وهو له هوية لأنه متنزل فى الزمان ومرتهن بالمكان"، وهو أيضا "فاعل فى الشيء الذى يتكفل بحمله وبنقله وبإبلاغ رسالاته".

ويتجسم كيان المعرفة، وتتجلى صورتها، ويتجدد فعلها المؤثر، وترتسم مسالك إنجازها المتجدد، عن طريق حملتها. لذا، لن تخلص المعرفة من قيود الهوية تماما، طالما أن حملة المعرفة "ليسوا دوما على البراءة التى نظنهم عليها، وليسوا البتة فى حل من حسابات الكسب والخسران على مستوى إنصاف التاريخ".

ويدرك الإنسان السابر لصراع المعرفة أنه فى ظل المفهوم المتجدد للثقافة، فإنها "ستتكفل بأداء الوظيفة التاريخية الكبرى دون أن تتخلى عن وظائفها الأخرى من فن وإبداع وتألق بالخيال قد يصل حد الترف الفكرى أو البذخ الجمالى" (٩).

والسؤال :

ما علاقة الثقافة بالمعرفة؟

يمكن اعتبار علاقة الثقافة بالمعرفة على نفس نمط أو شكل علاقة الفكر بالتاريخ، أو علاقة العقل بالواقع، إذا أن "ثلاثتها ثنائيات تدفعنا كى نتبصر بأعماق العمل الإستراتيجي، وتجعلنا ندرك الأبعاد الفاعلة للتخطيط الثقافى".

وينبغى أن تحمل الخطة الشاملة للثقافة بين مكانها "مصادرة على الإنسان ومراهنة على المستقبل"، وبخاصة أن أية إستراتيجية تسعى إلى إلغاء المسافة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، بهدف تطوير الوضع القائم بالفعل نحو الأفضل.

وتستدعى الثقافة علما بها، وتقتضى المعرفة دراية بمنظومتها: "كيف تتأسس وكيف تنمو وكيف تأتى ثمارها، وإذا انعطفت هذه على تلك كان علم الثقافة، وكان علم المعرفة، فإذا باستراتيجية الثقافة هى فى جزئها الأكبر استراتيجية للمعرفة".

وإذا تواءمت عناصر معادلة معنى الثقافة ومعنى المعرفة، "أفادتنا بأن مضمون الثقافة هو بمثابة الدال وبأن مضمون المعرفة هو بمثابة مدلوله، وبأن المرجع العينى الثاوى وراء هذا وذاك هو وقائع التاريخ فى مقاصده المطلقة التى لا تجزئه إلى ماض وحاضر وآت".

ومن معادلة معنى الثقافة إلى معادلة معنى المعرفة نجد أنفسنا أمام المعادلة الرمزية ذات البناء الصورى، حيث: العلم مدلول، والفن داله، والتقدم مرجعهما.

ويتوافق ما تقدم مع ما ينبغى أن تقصده الخطة الشاملة للثقافة، من حيث: تحديد المنظور المستقبلى للأمة، ونوع الإنسان الذي نريد، وشكل المجتمع الذى نبنى، وبذا يمكن بناء **نظرية ثقافية متكاملة** تكون بمثابة إطار مرجعى فى تحديد علاقة الثقافة القومية (الأم)

ببقية الثقافات الوافدة، وتسهم فى مقابلة تحديات المتغيرات الثقافية المستقبلية وفى تحقيق التقدم الإنسانى، لأنها تقوم فى الأساس على أصول وأسس علمية معاصرة، وتحافظ فى الوقت نفسه على تراثها وهويتها.

حقيقة، لا هوية للمعرفة بالأصل، وإذا ارتبطت بهوية ما، فتكون هوية الإنسان الذى يحملها أو يؤديها أو يراجعها بالوضع والابتكار. ولكن، الثقافة لابد أن تكون ذات هوية، فهى "فى مضمونها مجمع قيم مخصوصة تطمح إلى أن تكون قيما مطلقة، والهوية الثقافية هى الخاص الذى من إيثاره يريد أن يكون عاما، وهى النسبى الذى يبحث عن فك قيود النسبية حتى يشمل الآخرين بما هو على يقين أنه الصالح لهم أيضًا، لأن صلاحه من ذاته وليس من حامله. لنقل: إن المعرفة مطلقة والثقافة هويتها".

وإذا اتفقنا على أن الثقافة لا توصد بابها أمام العقل العلمى الموضوعى، المتسائل دوما، والمنقب بلا أناة، أدركنا إمكانية ترتيب المسلمات من جديد لنقيم بدل الآراء الظنية آراءًا يقينية.

والسؤال : **ماذا عن الثقافات الوافدة؟**

إذا قلنا أن الثقافة القومية ينبغى تأكيد مكانتها والنظر إليها بعين الاعتبار، فلا يعنى ذلك رغبة فى الانكماش على الذات حتى لا تتلاحم أو تتفاعل مع بقية الثقافات، لوضعها الأفضل والمميز عن تلك الثقافات، أو خوفًا ورهبة من سيطرة الثقافات الوافدة على الثقافة الأم ومحاولة زعزعة الثقة فى فاعليتها، ولكن التأكيد على هوية الثقافة القومية يكون على أساس أنها حق من حقوق الأمة فى الحياة من جهة، وأنها ثروة إنسانية تمثل أحد مقومات الفكر البشرى المتطور مهما كانت ظروف الزمان والمكان من جهة ثانية.

ويمكن وصف الهوية الثقافية "بأنها النواة الحية للشخصية الفردية والجماعية، والعامل الذى يحدد السلوك ونوع القرارات والأفعال الأصيلة للفرد والجماعة، والعنصر المحرك الذى يسمح للأمة بمتابعة التطور والإبداع، مع الاحتفاظ بمكوناتها الثقافية الخاصة، وميزاتها الجماعية التى تحددت بفعل التاريخ الطويل واللغة القومية والسيكولوجية المشتركة وطموحات الغد".

وبعامة، يظل صراع الثقافات والحضارات مرهون بشروطه الخارجية أكثر مما هو وليد ظروفه الداخلية والذاتية، وذلك يتماشى مع الحكمة الأبدية التى أثبتت فكرة صحيحة، مفادها: "إن الجنوح إلى السلم إذا أتى من طرف واحد موعودا للإجهاض".

إذًا، ينبغى أن يسيطر خطاب المسالمة على فكر المثقفين بعد أن بات واضحًا أنه يمثل الخطاب الحضارى بلا منازع، وبذا يمكن مقابلة عالم الغد بتحديات المعرفة وبضغوط التقنيات، وبخاصة بعد الحركات التحررية التى قبضت على الاستعمار وما يحمله من

أفكار تقيم سلما هرميا تتفاعل على مدارجه ثقافات الأمم، وذلك عن طريق الهيمنة والتسلط والاستبداد.

لقد قامت الحركات التحررية بعد أن عاد للعلم توازنه، ورجعت إلى المعرفة حكمتها، فانتفت بذلك فكرة التفاضل بين الثقافات لتحل محلها ندية الثقافات.

رابعاً : تأثير الثقافات الوافدة على الحضارة الأم :

يتطرق (**لويس عوض**) إلى موقف بعض المفكرين المصريين والعرب بالنسبة لقضية تأثير الثقافات الوافدة على ثقافتنا القومية، سواء أكانت عربية أم مصرية، عندما يتناول دراسة موضوع **نحن العرب**، فيبرز موقف كل من (**أنور عبد الملك**) و(**محمد عابد الجابرى**) على النحو التالى(١٠):

يرفض (**أنور عبد الملك**) نمط الحضارة الغربية وقيمتها كنموذج فى بناء الدولة العصرية، ويدعو للأصولية القومية والحضارية كمنبع للإبداع وللتحدى، وذلك يعنى أن (**أنور عبد الملك**) واقع تحت تأثير خرافة التناقض بين "الأصالة" و"المعاصرة"، وكان الأجدر به رفض الحضارة الغربية على أساس أنها حضارة أقنعة، "فهى تتحدث عن السلام وتشعل الحروب باستمرار، وهى تتحدث كثيرا عن الحرية والمساواة والإخاء، ولكنها تسترق الشعوب والطبقات والأفراد، وهى تناهض التميز العنصرى نظرياً ولكنها تزاوله فى التطبيق".

ويرى (**محمد عابد الجابرى**) أن الأمة العربية باتت أمة مريضة منهكة القوى، وأن مرضها الذى أضعفها ويكاد أن يفتك بها فهو التخلف، وذلك نتيجة لنكسة ١٩٦٧، "فمنذ نكسة ١٩٦٧ بدأ المثقفون العرب يحسون بأن نهضتهم قد أجهضت منذ هزيمة ١٩٦٧، أو أن هزيمة ١٩٦٧ كانت التعبير التاريخى عن إجهاضها".

كما يرى (**الجابرى**) أن العديد من الرسائل والبحوث الذى ظهرت منذ ١٩٦٧، ولاسيما بعد وفاة (**جمال عبد الناصر**) لا هم لها أو شاغل غير الحديث عن الأزمات التى تواجه الأمة العربية، مثل: أزمة الفكر العربى وأزمة الإبداع العربى وأزمة الاقتصاد العربى وهكذا دواليك. لذا، فإنه يصف الأمة العربية بأنها تعيش مرحلة لطم الخدود وشق الجيوب منذ هزيمة ١٩٦٧.

ويشير (**الجابرى**) إلى أن (**الأفغانى**) و(**محمد عبده**) قد ركزا اهتمامهما بقضية "الوعى النهضوى"، ولكن بعد أكثر من قرن من إدراكنا لأهمية وضرورة تحقيق النهضة، مازلنا فى مكاننا، ولم نتحرك قيد أنملة فى تحقيق نهضتنا.

مما تقدم نجد أن بعض التوجهات تعلوض فكرة الإطلال على العالم الخارجى، وقد تزايدت هذه التوجهات فى الآونة الأخيرة حتى أنها وصلت إلى حد إظهار العداوة للغرب بطريقة معلنة سافرة، وذلك يعنى التقوقع على الذات وعدم التعامل أو التفاعل مع الآخرين.

والسؤال : **ما أبعاد تأثير الثقافات الوافدة على الحضارة الأم؟**

يروج التصور المعروف بـ **ثورة الاتصال** لفكرة مفادها : أدى التطور الهائل فى وسائل نقل المعلومات والأفكار عبر العالم إلى تبادل فعلى بين الثقافات المختلفة، وإلى إتاحة الفرصة لقيام تفاعل إيجابى ومفتوح بين هذه الثقافات، بما يفتح الطريق للتخلص من تحيزات الماضى وأهوائه وللقضاء على مختلف التعصب والشكوك والكراهية المتبادلة بين الثقافات التى تجهل بعضها البعض.

ولكن مهما كانت قدرة وسائل الاتصال وكفاءتها وسرعتها، فإنها لا تكفى أبداً لتغير التصورات الموروثة التى تملكها كل ثقافة من الثقافات الأخرى فى العالم، وبخاصة إذا فرض التاريخ أو الجغرافيا -أو كلاهما معا- على ثقافات بعينها مواجهات حادة ذات طبيعة عقائدية وسياسية واقتصادية، إذ أدت المواجهات عبر العصور إلى تراكم التصورات المتعادية والعقد العدائية والخصومات القاطعة.

وعلى الرغم من أن العلوم الإنسانية، يساندها علم البيولوجيا، قد كشفت خلال القرنين الماضيين عن الكثير من الأصول والسمات المشتركة بين كل البشر، وعن عناصر مشتركة بين كل الثقافات، وعن تكافؤ اللغات من حيث أن كل لغة بمثابة ثقافة خاصة تعبر عن خصوصية الرؤية للكون والإنسان والتاريخ بالنسبة لهذه اللغة، فإن وسائل الاتصال لاتزال فى الواقع تعكس التميزات القديمة، والتصورات العلمية وغير العملية عن الثقافات الأخرى: البديلة والمعادية. لقد أصبحت تلك التصورات المتحيزة أو المتعصبة -منذ زمان بعيد وبفعل تأثير وسائل الاتصال- تبدو وكأنها المكونات الأساسية لما يمكن أن يسمى بـ "الثقافات الشعبية" ، كما أصبحت -من وجهة نظر المصالح الكبرى المهيمنة- المبرر لسياسات استثمارية استغلالية أو استراتيجيات توسعية ظاهرة للعين المجردة[١١].

فى ضوء الحديث آنف الذكر يكون من المهم طرح السؤال التالى :

لماذا ينبغى السعى والاهتمام لتحقيق حوار بين الحضارات؟

بادئ ذى بدء، نقول أن السؤال يتضمن المساعى الحميدة المقصودة لتحقيق الحوار بين الحضارات، وبالتالى فإن حديثنا فيما يلى يتعرض للمساعى والجهود لتحقيق هذا الحوار، ولا يتضمن التأثيرات السلبية المقصودة لهيمنة حضارة على أخرى إلا فى حدود ما يبرز أهمية تحقيق الحوار بين الحضارات. لقد قررت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى دورة عام ١٩٩٣ أن يكون عام ١٩٩٥ مخصصاً ليكون عام **التسامح الدولى**، ولكن بسبب تسارع الأحداث وحدتها، وقيام الحروب الأهلية فى مناطق عديدة من العالم، مات عام (التسامح الدولى) قبل أن يعطى فرحة الانتشار ليحس بها الناس فى شتى أرجاء المعمورة.

لقد عهدت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى منظمة اليونسكو باعتبارها الهيئة المسئولة عن الثقافة والتربية والتعليم، أى الهيئة المسئولة عن إقامة جسور الحوار بين حضارات الدول لتتفاعل تلك الحضارات بعضها البعض وفيما بينها، وهى أيضًا المسئولة عن صنع الحضارة فى بعض الدول.

ولقد خصصت منظمة اليونسكو يوم ٣ مايو ١٩٩٥ ليكون يوم الدعوة العالمية للتسامح من خلال كل وسائل الإعلام من صحافة وغيرها، ولكن كما قلنا من قبل لم يكن للدعوة تأثيراتها المأمولة بالنسبة لتحقيق أهدافها وأغراضها، لأنها لم تسهم فى لقاء الحضارات عند نقطة الانطلاق نحو صناعة مستقبل أفضل للإنسان، ونحو تحقيق تقدم الشعوب ورفاهيتها وأمانيها، وذلك بسبب انشغال الهيئات والمنظمات العالمية فى فك الخيوط العنكبوتية للنزاعات بين العديد من الدول، وفى نزع فتيل الحروب القائمة حاليًا أو المتوقع حدوثها فى مناطق عديدة من العالم.

لقد أثبتت الأحداث التى يموج بها العالم الآن، والتى ارتبطت بحوادث العنف والتطرف، وبتنفيذ عمليات انفجارات انتحارية راح ضحيتها الألوف من الناس ما بين قتلى وجرحى ومشوهين، أن اللاتسامح ساد عام التسامح، لأن الواقع المرير الذى عاشه العالم عام ١٩٩٥، ومازال يعيشه حتى الآن، حال دون إتاحة الفرص المناسبة للقاء الحضارات، وذلك بسبب الظلام الثقافى الدامس والجو السياسى غير الموات، اللذين يروجان لهما ويساندهما أعداء السلام[١٢].

أن لقاء الحضارات على أساس من الاحترام المتبادل يحول دون قيام النزاعات بين الشعوب، ويكون كحائط صد يحمى الإنسان من مغبة السقوط فى هاوية التعصب المقيت، لأن هذا اللقاء سوف يفرز إجتهادات طيبة فى سبيل إصدار وثائق عالمية ودولية تقوم على أساس أفكار ومبادئ السلام لنبذ فكرة النزاع العرقى والدينى والمذهبى.

أيضًا، فإن لقاء الحضارات يسهم فى تأكيد قيمة الإنسان ككائن مجتمعى، وفى احترام إنسانية الإنسان، وبذا يشعر الإنسان بالدفء والطمأنينة من خلال انتمائه لأبناء الأسرة البشرية على المستويين: المحلى والعالمى. كما يظهر هذا اللقاء أن التباين والتنوع بين الناس والشعوب هو ظاهرة كونية، وأن الجمال هو فى التمايز أى دون التكبر والتفاخر والتعالى.

كذلك، يمكن أن يكون للقاء الأجيال دوره المؤثر والفعال فى دحض فكرة إثارة النعرات التعصبية من أجل المحافظة على بقاء المجموعة وتماسكها، إذ يمكن تحقيق ذلك البقاء والتماسك عن طريق إقامة حوارات ومفاوضات بين المجموعات المتباينة والمختلفة فى الأيديولوجية والعقيدة واللون والدين لتحديد إمكانية التعاون والاتفاق.

وعلى الرغم من خطورة وأهمية الحديث آنف الذكر، فإننا نضيف البعد المهم التالى، والذى ظهر بظهور النظام العالمى الجديد:

لقد تغيرت خريطة العالم السياسية بعد التغيرات الاقتصادية والأيديولوجية والعسكرية العميقة التى مرت فى العالم فى نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. ونتيجة لذلك، ظهرت أفكار جديدة تحاول تفسير ما حدث، وتضع تصورات لصورة العالم الجديد والتفاعلات المتوقعة بين شعوبه ومجتمعاته وحضاراته.

وفى هذا الصدد، برزت نظرية الباحث الأمريكى (**فرانسيس فكوكاياما**) والتى تصور فيها أن "الحرب الباردة فحسب هى التى انتهت، وإنما التاريخ نفسه هو الذى بلغ نقطة نهايته فِي التطور الأيديولوجى للبشرية، وأن الانهيار السوفيتي وأيديولوجيته إنما يسجل نصراً واثقاً لليبرالية الاقتصادية والسياسية، وهو ليس نصراً مؤقتاً، بل نصر كامل يستبعد أى نظام بديل صالح للبقاء.

أيضًا، خرج الأمريكى (**صامويل هنتجون**) بنظرية "انتهي فيها إلى أنه من نهاية الحرب الباردة فإن العالم سوف يتشكل بدرجة كبيرة نتيجة للتفاعل بين سبع أو ثمانى حضارات كبيرة، هى: الغربية، والكونفوشية، واليابانية، والإسلامية، والهندية، والسلافية، وأمريكا اللاتينية وربما الحضارة الأفريقية، وأن أكثر الصراعات أهمية للمستقبل سوف تحدث على الخطوط الحضارية الفاصلة Fault Lines التى تفصل هذه الحضارات بعضها عن بعض" (١٣).

وواضح مما تقدم أن كل (**فوكاياما**) و(**هنتجون**) مزهو بنشوة ما حدث على الساحة الدولية، وبخاصة بعد أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية القوة العسكرية شبه الوحيدة فى العالم، ولكن الأفكار التى تتضمنها النظريتان السابقتان تعرضت لعديد من أوجه التحليل والنقد.

فعلى سبيل المثال، يوضح المفكر السنغافورى (**مابوبانى**) أن ما ذهب إليه كل من (**فوكاياما**) و(**هنتجون**) مجرد تصور فكرى لا ينطلق من تجربة تجرى فى الواقع، وتشير إلى تصادم الحضارات، إذ يشير الواقع الفعلى إلى تعاون الحضارات وتلاقيها قد يصل إلى حد انصهارها Fusion واندماجها فى بعض المناطق.

ويؤكد (**مابوبانى**) فكرته على أساس أن الانتقالات الناجحة للحراك الاجتماعى من دولة لأخرى، جعل الناس يشعرون بأنهم يتحركون نحو عصر جديد من الازدهار الاقتصادى، دون أن يشعروا بأنهم عبروا حواجز تفرق بينهم. وكنتيجة لذلك، يرى (**مابوبانى**) أن الجماعات فى الدول المختلفة باتت تربطها الآن مصالح مشتركة فى الحياة، وعليه فإن كل جماعة قد تفقد بعض ملامح هويتها القومية نتيجة لهذا الامتزاج بين

الجماعات، مع الأخذ فى الاعتبار أن استمرار هذا الامتزاج يؤدى فى نهاية الأمر إلى انفجار خلاق لم تشهده البشرية من قبل ويتمثل فى الهوية العالمية[١٤].

وبعامة، فإن الأفكار التى جاءت فى رؤية (**هنتجون**) تحت عنوان (صراع الحضارات) تعمل على توسيع هوة الخلاف بين حضارة الغرب وبقية الحضارات، وتؤكد وجود صراعات جديدة ضد الغرب، غير ذلك الذى كان قائماً ضده فى الحقبة الاستعمارية. وعلى الرغم من أن الغرب يتيه بهيمنته فى كل المجالات فى وقتنا الحالى، فعليه الاعتراف بأن التراث العقائدى يقوى مجالات الصراع ويذكى هوة الاختلاف، وعليه أيضاً ألا يهمل ذلك من حساباته وفى تعاملاته مع بقية الحضارات.

لذا، توجد عدة تصورات حول الموقف الآتى والمستقبلى بالنسبة للإجابة عن السؤال: **هل نحن بصدد صراع حضارات أم تعايش حضارات؟**، نذكرها -بتصرف- فى الآتى:

أولا: أمامنا طريقان إما الصراع وإما التعايش، وقد يجد الغرب لديه القوة الاقتصادية والحرية لخوض الحرب للقضاء على الصداع بقطع الرأس بدلا من معالجته، لكن تحقيق ذلك، إن لم يكن فى حكم المستحيل، فمن الصعب جدا تنفيذه فى ظل ظروف الزمان والمكان الحاليين.

ثانياً : لخطورة التدخل العسكرى قد يلجأ الغرب إلى الحرب الاقتصادية، وهى سلاح حقق بعض أهدافه في العديد من المناطق، بحيث أصبح الغرب مسيطراً بدرجة كبيرة على اقتصاد العديد من الدول، وبخاصة فى المنطقة العربية. وفى هذا الصدد، ينبغى أن لا يلقى العرب بأخطائهم على كاهل الغرب، فهناك أخطاء كثيرة داخلية ليس الغرب مسئولا عنها إلى حد كبير، لذا فإن الأمة العربية مطالبة بتصحيح مسارها الاقتصادى من جانب، وبتدعيم النهج الديمقراطى أو الشورى، أياً ما تكون التسميات من جانب آخر. ولقد عكس الوضع الاقتصادى المتدهور فى معظم الشعوب العربية حالة من حالات الانكسار والشعور بالخيبة، وتراجع القوميات ليحل الدين بديلا عن القوميات. ولو إفترضنا جدلا أن الدول العربية فى حاجة إلى (تنوير)، فليس من الضرورى أن يكون مبعثه الغرب، وفى مثال وتجربة اليابان ما يؤكد ذلك.

وقد تنبأ (**بول كيندى**) فى كتابه (صعود القوى العالمية وسقوطها) بأن اليابان ستكون فى عام ٢٠٠٠ قد سبقت الأمم الصناعية الأخرى. ويتكهن مفكرون آخرون بأن القرن الحادى والعشرن سيكون عصر ما بعد الحضارة الأوروبية[١٥].

ونحن نتفق تماماً مع وجهة النظر التى تقر صعوبة -بل استحالة- إيجاد حضارة واحدة للعالم، لأن ذلك يعنى نضوب الحضارات الأخرى تماماً، مع الأخذ فى الاعتبار إمكانية وجود حضارة إرتكازية فى فترات تاريخية بعينها، قد ترجع بالدرجة الأولى إلى الركود

الثقافى فى بعض الحضارات، بينما يحدث ازدهاراً ثقافياً وتدعيماً إقتصادياً وسياسياً وعسكرياً لتلك الحضارة الإرتكازية.

ولكن، وجود حضارة إرتكازية تسود أو تهيمن على بقية الحضارات يمثل وضعاً شاذاً، لا يستمر طويلا بسبب الحركات التحررية الفكرية التى قامت وتقوم على أكتاف أبطال شجعان دوليين، تنطلق افكارهم وآرائهم عبر الحدود الإقليمية لتصل جميع أرجاء المعمورة، وبذا يمتد تأثيرهم الإنسانى الثقافى على جميع شعوب العالم، مع مراعاة أنه ليس من الضرورى أن يكون الرواد من الغرب فقط. فربما، ينتمى هؤلاء الأبطال لحضارات أخرى أو يكونوا مواطنين عاديين فى بعض الدول النامية أو الفقيرة. ولعل خير دليل على ما ذهبنا إليه أن أفكار وفكر (**نجيب محفوظ**) المصرى تسود بلاداً عديدة وتنتشر فيها، وتقابل بكل إحترام وتبجيل وتقدير، وذلك جعل منه شخصية عالمية تحصل على جائزة (نوبل) للإبداع الأدبى سنة ١٩٨٨. أيضا، أصبح (**بطرس غالى**) المصرى شخصية دولية، وتبوأ منصب الأمين العام للأمم المتحدة بإقتدار، حيث كانت له رؤية مؤثرة واضحة المعالم وراء كل قضية تثار على المستوى الدولى، وذلك جعله "من الأسماء التى ذكرها دارسو التنظيم الدولى بإعتبارهم من الرجال العظام الذين لم يكن الواحد منهم مجرد أكبر موظف دولى على وجه الكرة الأرضية، ولكن كل واحد منهم كان أكبر من ذلك. كان مؤمنا بقضية، وهذا الإيمان بقضية من قضايا البشر الكبرى هو الذى يفرق بين إنسان وإنسان، وبين موظف كبير وآخر"(١٦). وأخيراً يحصل العالم المصرى النابغة (**أحمد زويل**) على جائزة (نوبل) فى العلوم لسنة ١٩٩٩، لإكتشافه الرائع عن القياس، وهو : الفيمتوثانية.

إذاً، يمكن الزعم بدرجة كبيرة من الثقة بأن قول (**هنتجون**) : "أن أصل المشكلة الأساسية فى هذا العالم الجديد لم يكن فى المرتبة الأولى أيديولوجياً ولا إقتصادياً، بل ان الانقسامات الكبرى فى البشرية ستكون هى النبع الرئيس للمشكلات حيث سيكون صراع الحضارات، وستظل الدول القوية هى المسيطر الأقوى فى العالم، غير أن الصراعات الأساسية فى السياسة الدولية ستقع بين الدول والمجموعات ذوات الحضارات المختلفة، وسيهيمن صراع الحضارات على السياسة الدولية. وستكون الحدود الفاصلة بين الحضارات جبهات القتال فى المستقبل"، مجرد تصور فى خيال (**هنتجون**) فقط، ويجافى الحقيقة بدرجة كبيرة، ولن يكون له وجود حقيقى فى سوق الاحتكاك العملى الفعلى(١٧).

خامسًا: دور التربية فى مقابلة الثقافات الوافدة فى مجتمع المعرفة:

إن التربية يمكن أن تكون قوة فاعلة، بحيث تؤثر إيجابا فى وضع الحلول المناسبة لعديد من المشكلات، وفى مقابلة المعضلات الصعبة والمعقدة التى يموج بها عالمنا المضطرب. وإذا نظرنا إلى الثقافات الوافدة، نجد أنها تهدف ضمن ما تهدف إلى مسخ الشخصية القومية، وقد يصل الأمر إلى محاولة تدميرها بالكامل. هنا، تظهر قوة التربية، إذ يمكن عن طريقها مقابلة المحاولات المقصودة التى تسعى إليها الثقافات الوافدة، من أجل تدمير الإنسان. فالتربية وحدها، ودون غيرها، هى السبيل إلى بناء وتنمية عقول المتعلمين، بطريقة تساعدهم على تحليل الأحداث، وقراءة ما بين السطور، ووضع النقاط فوق الحروف، وبذلك يستطيع المتعلم أن يفهم بطريقة جيدة ما يحدث حوله من ظروف وملابسات، وأن يتأكد ما إذا كانت تلك الظروف والملابسات لها مقاصدر بريئة أم مغرضة، وبذلك يستطيع أن يختار ما يراه مناسبًا له ولجماعته ولمجتمعه. أيضًا، عن طريق التربية يمكن الكشف عن المزاعم اللئيمة، التى تبدو براقة ومشرقة من الخارج، وهى فى حقيقتها سوداوية ومظلمة ظلام القبور من الداخل. فعلى سبيل المثال، المساعدات والقروض الخارجية فى مجملها، تحمل بين طياتها أفكارًا مدمرة للتعليم فى مصر، كما هو الحال بالنسبة للقرض المخصص لتطوير كليات التربية، إذ يهدف هذا القرض ربط كليات التربية فى مصر بالأنظمة التربوية المعمول بها فى الولايات المتحدة، مع الفارق الكبير بين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.. إلخ، هنا وهناك. إنهم يعطون بالشمال ويأخذون باليمين، ناهيك عن محاولة رسم المنهجية التى يجب إتباعها، وعن محاولة غرس أفكار ثقافية بعينها، سواء يتم ذلك بطريقة واضحة أم بطريقة خفية.

لقد تجلى دور التربية المهم فى مقابلة المقاصد الضمنية، التى يحملها القرض المخصص لتطوير كليات التربية، فى الدور الرائع الذى يقوم به مجموعة من التربويين، ممن كشفوا النقاب عن خفايا أهداف ذلك القرض.

وهنا قد يقول قائل: إن ما تقدم يمثل محاولات بعض التربويين ممن يحرصون على تنقية التربية من أية شوائب، وممن يعملون بجد واجتهاد لإزاحة أية عقبات تعترض سبيل التربية نحو الإنطلاق لتحقيق أهدافها، ولكن ذلك فى حد ذاته لا يكفى، إذ أن تعقيدات القضية عديدة ومتنوعة، وتتطلب وضع خطة عامة، وليس مجرد اجتهادات شخصية لبعض

التربويين الغيوريين ممن يعملون بإخلاص واستماتة من أجل وضع الحلول المناسبة لبعض القضايا التربوية الملتهبة، ولكن: كيف يتحقق ذلك؟!

للإجابة عن السؤال السابق، فيما يخص الدور الذى يمكن أن تلعبه التربية -ولا نقول خطة التربية- بالنسبة لمقابلة الثقافات الوافدة، فتتمثل أهم أبعاده فى قوة هذا الدور فى الإجابة عن الأسئلة المهمة التالية:

(١) ماذا عن تحديد هوية ثقافتنا القومية؟

وذلك يتطلب الإجابة بموضوعية وعلمية خالصتين عن الأسئلة الفرعية التالية:

* هل لثقافتنا القومية فى الأصل هوية واضحة المعالم؟ أم أنها مجرد أشتات متناثرة ومبعثرة وتقوم أساسًا على فكر عشوائى؟

* هل تتسم ثقافتنا بنظرة شاملة، وتقيس أحكامها على القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية... إلخ، وفق معايير موضوعية؟

* هل تؤكد ثقافتنا أهمية تطبيق القانون وضرورة انضباط النظام؟ وإذا كان ذلك يتحقق، فهل يتم التطبيق على جميع الناس بلا استثناء؟

* ما موقع حقوق الإنسان ومرتبتها فى النسيج الاجتماعى؟ وهل تمثل حقوق الإنسان محور الحياة نفسها؟

* هل مؤسسات المجتمع بعامة، والمؤسسات التربوية بخاصة، لها خططها المستقبلية التى تخطط لتحقيقها من الآن؟ أو على أقل تقدير، هل هذه المؤسسات تضع فى حساباتها الحالية موقع المستقبل، لتدبر السبل المناسبة لمقابلته؟

* هل تدرك ثقافتنا خطورة الجمود، وتعمل على التغيير؟ أم تعمل ثقافتنا على تغييب المشاركة والالتزام عن طريق مقاومة التغيير؟

* هل ثقافتنا تمثل ظاهرة لها وجود حقيقى بين الثقافات الأخرى؟

* هل ثقافتنا تعانى من بؤر التسلط والفساد والترهل، بسبب عدم ديناميتها، وسقوطها ساكنة فى مستنقع أليم؟

* هل ثقافتنا لها بريق دون مضمون؟ وهل لديها القدرة على تخطى حواجز البيروقراطية؟ وهل يمكنها تأكيد الديمقراطية كمنهج للتعامل على جميع المستويات؟

* هل تؤكد ثقافتنا أهمية وضرورة تقييم الأداء -على جميع المستويات- على أساس

معايير: الفاعلية والقدرة على الإنجاز، والكفاءة وتنفيذ العمل بأفضل طريقة، والجدوى السياسية للمسئولين؟

* هل تقوم جوانب ثقافتنا على حرية المعرفة، وتدفق المعلومات، وتوافر تكنولوجيا الاتصالات؟ أم تقتصر -فقط- على المناحى والمناهج الإنسانية (الفنون والموسيقى والأدب... إلخ)؟

(٢) ماذا عن قوة ثقافتنا بالنسبة للثقافات الأخرى؟

وذلك يتطلب الإجابة بدقة وعقلية متفتحة عن الأسئلة الفرعية التالية:

* هل مقومات ثقافتنا القومية على قدم المساواة مع مقومات الثقافات القومية الأخرى؟
* هل أثرت ثقافتنا القومية على الثقافات العالمية، أم تأثرت بها فقط؟
* هل لثقافاتنا القومية جانبها الإنسانى، الذى يتوافق مع مبادئ حقوق الإنسان، فى كل زمان ومكان؟
* هل لثقافتنا القومية نزعة إنفتاحية على الآخر، أم متقوقعة على ذاتها، ولا تتعدى حدودها الإقليمية؟
* هل تنشغل ثقافتنا بقضايا العصر الشائكة، وبتحديات العصر؟
* هل تحرض ثقافتنا على طرح تساؤلات للفهم عن المعنى، وتؤكد ضرورات وحتميات سنن الطبيعة الإنسانية، على المستويين: المحلى والعالمى؟
* هل ثقافتنا قابلة للتغيير أو التحسين المستمر، اللذين يقومان على التفكير الوضعى، واللذين يؤكدان -أيضًا- أهمية التكنولوجيا الفردية والجمعية، على السواء؟
* هل تهتم ثقافتنا بجميع جوانب شخصية الإنسان، مع تأكيدها -فى الوقت ذاته- أهمية بلورة هذه الشخصية بما يتوافق مع متطلبات عصر العلم والتكنولوجيا؟
* هل تعتمد ثقافتنا المعيار الاجتماعى للتحديث (تمدين المدن- التصنيع- التعليم- وسائل الاتصال المتطورة-. .إلخ)؟
* هل تعتمد ثقافتنا المعيار الهيكلى للتحديث (المعرفة وأنواعها وتطبيقاتها- مصالح الجماعة قبل مصلحة الفرد- الإنجاز- الحقوق الإلهية-. .إلخ)؟
* هل تعتمد ثقافتنا المعيار الثقافى للتحديث (الدين- الفلسفة- العلم- التعليم- الإتصال الإعلامى-. .إلخ)؟

* هل تعتمد ثقافتنا المعيار النفسى للتحديث (مرونة الأنا أو الذات- القدرة على التكيف- الاعتماد وتبادل الاعتماد- التحول الاجتماعى- . .إلخ)؟

* هل تقوم ثقافتنا على العقلانية العلمية، التى يمكن على أساسها صهر جميع الثقافات فى بوتقة واحدة؟

* هل لثقافاتنا رؤية مستقبلية، تقوم على أساس علم يعتمد لغة تقوم على قدرات عقلية، رغم أنها -فى معظمها- مجهولة وافتراضية، فإنها -فى الوقت نفسه- قابلة للتحقيق والتحقق، لأننا نعيش فى عالم بلا مسافات؟

* هل ثقافاتنا وسيلة فاعلة فى تحقيق التكيف البيولوجى، لأنها تمكننا -بالفعل- من تجميع الاكتشافات السابقة، وتساعدنا -فى الوقت نفسه- فى فهم واكتساب الخبرات المباشرة وغير المباشرة؟

* هل تقوم ثقافتنا على أساس استمرار تزايد التغير الثقافى فى المستقبل، باستخدام الكمبيوتر ونظريات الذكاء الاصطناعى؟

* هل تأثرت القيم الثقافية بتطبيق سياسة الانفتاح، وبالمد الإعلامى الوافد؟ وهل الإنفتاح كان وراء شيوع قيم السلبية واللامبالاة فى أيامنا هذه، أم أن هناك قوى خارجية تدعم تلك القيم، أم أن جذورها تضرب بعمق فى بنيتنا الاجتماعية؟

خلاصة القول، وبأمانة شديدة، فإن الإجابة عن الأسئلة السابقة تؤكد إنحسار دور التربية وعجزها عن مواجهة الثقافات الوافدة، ولذلك من المهم وضع خطة قومية طموحة، تهدف إعادة الأدوار الرائعة التى ينبغى أن تقوم بها التربية، لتكون بالفعل السد القوى والمنيع ضد جميع المحاولات السرطانية، التى تعمل بقوة وشراسة لمد جذور الثقافات الوافدة، من أجل تحطيم ثقافتنا القومية، وضربها فى مقتل.

ومن المهم، أن نؤكد أننا لسنا ضد الانفتاح على الثقافات الأخرى، بشرط أن يتحقق ذلك من خلال موقف الند للند، وعن طريق التأثير المتبادل. ويتطلب ذلك تحديث ثقافتنا القومية من خلال خطة طموحة وشاملة، وليس عن طريق محاولات واجتهادات فردية؛ لأن هذه المحاولات والاجتهادات مهما عظم شأنها، قد تضيع وسط الزحام الذى يفرضه الخضم الهائل من المعرفة والمعلومات التى تظهر كل يوم، وأحيانًا كل ساعة(١٨).

والسؤال :

هل يقف التربويون مكتوفى الأيدى، ويعلنون عجزهم - بل قل فشلهم - فى مقابلة الثقافة الوافدة فى مجتمع المعرفة؟

وبتعبير آخر: هل وضع خطة تربوية طموحة لمقابلة الثقافة الوافدة التى تريد السيطرة والهيمنة على ثقافتنا القومية، يمثل معضلة كبرى يعجز التربويون عن حلها؟

الحقيقة، لا توجد مشكلة بلا حل، طالما خلصت النوايا وتكاتفت الأيدى، وعمل الجميع من أجل المصلحة العامة، دون النظر إلى المنفعة الشخصية أو المكانة الاجتماعية، لكل فرد على حدة.

إذًا، ينبغى العمل من خلال فريق عمل، يضع فى حساباته واعتباراته خصائص مجتمع المعرفة وظروفه وتجلياته وتداعياته، إذ يقوم هذا المجتمع على تراكم معرفى وتقدم علمى أثمرا تدفقًا غير متناهى من المعلومات، وفيضًا غير محدود من الأفكار، حيث أصيب إنسان اليوم بالإعياء المعلوماتى من كثرة غزارة وكثافة المعلومات، التى يستطيع أن يجلبها فى التو والحال.

أيضًا، يجب على التربويين إدراك قوة التكنولوچيا وفظاعتها، بعد أن توحشت، وأصبحت تسيطر سيطرة شبه كاملة على الإنسان، وبعد أن كانت السبب المباشر فى إنهيار بعدى الزمان والمكان. وأن يدرك التربويون - فى الوقت نفسه - أن التكنولوچيا فى حد ذاتها، ليست شرًا على طول الخط، إذ إنها أسهمت فى تطوير قدرات الإنسان وإمكاناته، وساعدته على الخلق والإبداع، وزلزلت الأفكار القديمة فى عقله، لتحل محلها أفكارًا ناضجة يمكن للإنسان عن طريقها فهم أصول لعبة التنوع الثقافى والتنافس المادى.

ومن منطلق أن العلم والتكنولوچيا معًا، فى مجتمع المعرفة، قد كانا السبب المباشر فى تكوين عقلية جديدة للإنسان، ساعدته على فهم وقائع الحياة وتطورها فى السنوات الأخيرة، فأدرك أن ما يتحكم فى العلاقات الإنسانية - سواء أكان ذلك على نطاق الأفراد أم على نطاق الدول - لهى معايير جديدة للمعاملات والتعاملات، تقوم للأسف على أساس المصالح والمنافع المتبادلة، لذلك يجب على التربويين تأكيد أهمية البعد الإنسانى، لأن المصالح والمنافع المتبادلة بين الناس قد تنتهى وتزول، بعد أن تصيب روح الإنسان فى مقتل. وعليه، من المهم أن يعمل التربويون من أجل وضع الخطط الطموحة، التى يمكن عن

طريقها تفعيل القيم السامية والنبيلة للإنسان. أيضًا، يجب أن تتضمن تلك الخطط الدعائم والأسس التى تعمل على زيادة كفاءة الإنسان العقلية، كذا قدرته على التحرى والتدقيق والتصنيف وربط الأسباب بمسبباتها والنقد العلمى الموضوعى.

خلاصة ما تقدم، ينبغى معرفة جميع أبعاد مجتمع المعرفة، فهو مجتمع يمكن أن يعطى وأن يأخذ، فى الوقت نفسه. بمعنى؛ هذا المجتمع له إيجابياته وله سلبياته، وعلى التربية إتاحة الفرص العديدة والمتعددة لتفعيل إيجابيات مجتمع المعرفة، إذا أردنا بناء الإنسان قوى العقل والخلق والإبداع والاكتشاف، والذى يستطيع أن يفهم أغراض ومقاصد الثقافات الوافدة.

والسؤال :

ما التصور المقترح لبناء خطة تربوية يمكن عن طريقها مقابلة التداعيات السلبية للثقافات الوافدة؟

بإختصار كبير، يمكن تحديد الأبعاد الرئيسية لبناء تلك الخطة فى الآتى:

(١) فى عالم الاضطرابات والصراعات، قد يفقد الإنسان توازنه، ومن هنا يظهر الدور المهم للتربية، لدورها المحورى فى تحقيق الآتى :

- تطوير الإنسان لجهوده العلمية والفكرية لحل مشكلاته.
- إنماء حكمة الإنسان، وتفعيل دور عقله فى صنع مصيره الحالى ومستقبله الآتى.
- تأكيد القيم الحضارية للإنسان والمجتمع، على حد سواء.
- إعادة بناء المجتمع على أساس الحداثة، بهدف الإنطلاق نحو غايات سامية، وبهدف مواكبة ظروف العصر ومتطلباته.
- إبراز أن المعرفة تمثل قوة حقيقية، لذلك تتمحور الصراعات الآن حول السيطرة على العقول والأفكار، بدلاً من السيطرة على الإمكانات المادية.
- توضيح أن التقدم المادى والمعنوى، على حد سواء، يمر عبر العقل الإنسانى، ولذلك يجب أن يستغل الإنسان مهاراته وقدراته فى عمليات التنافس، بينه وبين الآخرين.

(٢) فى ضوء المنطلقات آنفة الذكر، يجب أن توضح التربية أن المبدأين الأساسيين لتداعيات مجتمع المعرفة، يتمثلان فى الآتى:

- تأكيد الهوية القومية، وإبراز ثوابتها ومكوناتها وأبعادها، مع توضيح المحاولات التى

ينبغى اجراؤها لحمايتها من سيطرة وهيمنة الثقافات الوافدة.

- إبراز أن الثقافات الوافدة يمكن الاستفادة من بعض جوانبها، من خلال التفاعل الإيجابى مع معطياتها، على أن يتم ذلك على أساس علاقات تأثير تبادلية، ودون انبهار أو ذوبان فى تلك الثقافات.

(٣) على أساس التداعيين السابقين لمجتمع المعرفة، يمكن تحديد دور التربية فى مقابلة الثقافات الوافدة، فى الآتى :

- العمل على تجاوز الأنماط التقليدية للفكر التربوى، وخاصة تلك التى تقوم على أساس وعود براقة، دون النظر إلى الإمكانات الحقيقية والفعلية للتعليم.
- النظر إلى المستقبل واستشرافه والاستعداد لملاقاته، من خلال وضع الخطوط العريضة لتربية الغد، التى تلغى الحواجز النمطية بين ميادين المعرفة المختلفة.
- تأكيد أن التربية اليوم والغد على حد سواء، يجب أن تضع فى حساباتها المتغيرات التى يموج بها مجتمع المعرفة، فتقبل المتغيرات، وتنفتح على الآخرين، وتعترف بالديمقراطية كأساس للتعامل بين الأفراد بعضهم البعض، وبينهم وبين السلطة.
- البعد عن أنماط التعليم التلقينية، وتوضيح أهمية البحث عن المعلومة من مصادرها الأصلية والأصيلة، لأن النقل الحرفى لايقوم على أساس علمى عقلى، يتحدى آليات الذهن، وإنما تكون تداعياته السلبية خطيرة، فهو يسهم فى تحجيم دور التفكير وإنطلاقه نحو الآفاق الأوسع والأرحب.
- إبراز الدور المهم للتربية الأخلاقية، التى تستمد أصولها وقواعدها من الديانات السمائية، إذ إنها تساعد الفرد فى تحديد أبعاد هويته الثقافية، وتعمل على أن يكون اختياره يتوافق مع أساسيات التميز وتنمية احترام الذات والثقة بالنفس.
- توضيح الدور الرائع الذى يمكن أن يقوم به الإنسان فى تحقيق التواصل الإنسانى، والوحدة الإنسانية والمساواة والتسامح والتكافل بين البشر، وبذلك يكتسب الإنسان مقومات المواطنة الصالحة على المستويين : المحلى والعالمى.
- رفض قبول ثقافة الغير دون تحليل ودراسة وتمحيص، لأن ذلك يعنى الخنوع والاستسلام الكاملين، والتبعية لتيارات فكرية هدامة، لا هدف لها، غير تدمير الهوية القومية، وإلغاء وجود الذات الوطنية.

(٤) على أساس الدور المهم الذى يجب أن تقوم به التربية لمقابلة الثقافات الوافدة، يمكن تحديد أهداف التربية فى الآتى :

- بناء الشخصية السوية فى شتى مناحيها الأخلاقية والعقلية والعملية والاجتماعية . .الخ.
- دراسة التاريخ القومى لاستنفار هم المتعلمين، على أساس ما حققه أجدادهم من إنتصارات هائلة، بهرت ومازالت تبهر العالم.
- فحص كتب التراث وغربلتها، للاستفادة من الخبرات المفيدة التى جاءت بها، وخاصة تلك التى يمكن أن تتوافق مع ظروف الزمان والمكان.
- تأكيد أهمية الفنون فى حياة الإنسان.
- توفير الفرص للإبداع الفردى والجماعى.
- الاهتمام باللغة العربية دراسة وتوظيفاً.
- تقديم بعض النماذج التى يتميز أصحابها بالقيم الصحيحة والقدوة الحسنة، سواء أكانت تلك النماذج محلية أم عالمية، وسواء أكان أصحابها من الأحياء أم من المتوفين.
- تنمية مهارات البحث العلمى عن المعرفة، والوصول إلى منابع وأصول تلك المعرفة.
- توفير الفرص المناسبة ليبدع المتعلمون، وليكتسبوا مهارات التفكير العلمى.
- تأكيد أهمية القيم الديمقراطية، والنظر بعين الاعتبار إلى التنوع الثقافى، دون إغفال للثقافة القومية.
- اكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتى والمستمر.
- تشجيع ثقافة الادخار ونبذ ثقافة الاستهلاك الترفى.
- تشجيع المتعلمين على الحوار مع الآخر، والتواصل معه، من موقف الند للند، والاحترام المتبادل.
- العمل على تكوين المواقف والاتجاهات النفسية التى تساعد المتعلمين على التفاعل والتكيف مع العصر.
- تأكيد أهمية مفهوم وقيم المواطنة، ودلالاتها على المستويين: المحلى والعالمى.
- إتاحة الفرص المناسبة ليمارس المتعلمون حريتهم فى التعبير عن أنفسهم، دون أن يكون ذلك على حساب الآخرين.

- إعتماد الديمقراطية منهجا حياتيًا للتعامل مع جميع الأفراد، وفى جميع المستويات.
- تحفيز العقول واستنفارها للعمل الإبداعى والابتكارى بحرية كاملة، دون وجود ضغوط خارجية مقصورة توجه هذا العمل لتحقيق مقاصد بعينها، تتنافى مع التوجهات الإنسانية والديمقراطية.
- تطوير مهارات المتعلمين بما يساعدهم على اكتساب ومعرفة الأصول التى على أساسها يمكن اتخاذ القرارات الرشيدة، ويمكن - أيضًا - فحص الاختيارات والبدائل والنتائج المتوقعة لكل اختيار.
- تشجيع المتعلمين على التعبير عن آرائهم بحرية كاملة، واتاحة الفرص أمامهم للدفاع عن تلك الآراء، وتطبيق ذلك كمنهج حياتى فى كل كبيرة وصغيرة، طالما أن تلك الآراء لا تؤذى الآخرين، أو تقلل وتحط من شأنهم.
- تأكيد أهمية التعليم بالحوار بدلاً من التلقين، وكذا أهمية التعليم للإبداع بدلاً من التقليد والمحاكاة.
- توسيع قاعدة المشاركة بين المعلمين والمتعلمين، وتشجيع التفاعل بينهم، وكسر العلاقات التسلطية التى قد يفرضها بعض المعلمين.
- تقديم الخبرة التعليمية، سواء فى صورتها النظرية أو العملية، بصورة تسمح بالتحليل والتركيب والنقد والتأمل والتصور، والتكيف مع ما يستجد من متغيرات ومواكبتها.
- اتباع المنهج العقلانى فى التفكير، الذى يحرر الفرد من الانبهار الساذج أو الاستلاب الحضارى لثقافة الغير.
- توفير فرص اكتساب المعرفة والتمكن من المهارات التكنولوچية المتقدمة، عن طريق تشجيع المتعلمين على السؤال عن كينونتها والسعى لإكتشاف حقائقها والوصول إلى مصادرها المختلفة، وعن طريق استخدام الوسائط التكنولوچية على أساس استيعاب منطقها والاسهام فى إنتاجها والتنافس مع الآخرين فى تطويرها.

وعليه :

إذا حققت التربية ما تقدم، يمكننا أن نقول بدرجة كبيرة من الثقة أن التربية تنجح بالفعل فى مقابلة الثقافة الوافدة، وتتفاعل معها وتواكبها، وتوظف الجوانب التى يمكن الاستفادة منها فى تحقيق الثقافة القومية لأهدافها ومقاصدها وأغراضها.